إبداع
للنشر الإلكتروني

ديدي بريتي

غاوي مشاكل

تصميم غلاف :

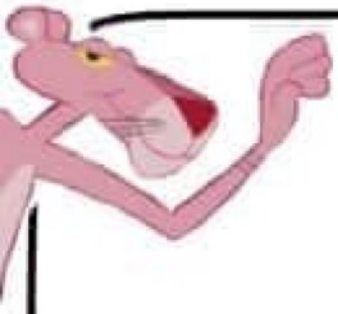

غاوي مشاكل

إبداع

ديدي بريتي

غاوي مشاكل

ديدي بريتي

تصميم

الغلاف: **Delicate Butterfly**

الداخلي : **Samar Abdelfatah**

تعبئة ورابط إليكتروني : **Dina Y Elshaarawi**

فريق عمل

إبداع

للنشر الإلكتروني

غاوي مشاكل

"الدليل إذا شابه الاحتمال, سقط به الاستدلال"

وتلك هي الجُملة المكتوبة على لوحة عريضة على باب الشقة, وأسفلها مكتب مُحاماه

(خورشيد كمال)

(بُشرى عبد الستار)

أما بالداخل فيجلس قرب الباب موظف استقبال, يتابع التلفاز المُعلق على الحائط, باهتمام, وقد خلى المكان من العملاء..

وبداخل أحد غرف الشقة, يجلس مستسلمًا لها على أريكة جلدية باللون الأسود، يتأوه كل دقيقة بألم، مع كل ضغطة منها على كدمات وجهه الزرقاء، وهي تجلس بجواره، تنظف جروحه بشفتين ممطوطتين للجانب بعدم رضا على حاله، تتطلع لكدماته وهيئته المبعثرة بنزق،

تعنفه بحنق:" بقى ده منظر محامي محترم؟.. راجعلي من المحكمة مضروب.."

تلقي بقطعة القطن الملوثة بدماءه، ملتقطة أخرى، مشبعة بالمطهر، وتعود لمداواته،

وهو يرد عليها متألمًا:" خدوني على خوانة.. بس الحكم اتنطق, وأول ما طلعت عينك ما تشوف إلا النور.."

التوت شفتاها أكثر بامتعاض، قائلة بسخرية:" يعني يوم ما تعمل خير تنضرب.. رايح تدافع ببلاش, يضربوك الخصوم!.."

زم شفتيه يكتم ألمه، قبل أن يقول بسخط مدافعًا:" أنا قولت ناس غلابة، والقضية بسيطة، لكن الـ..... "

قاطعته بنفاذ صبر، ملقية القطن على الطاولة أمامها:" قولتلك بلاش بس إنت حكمت دماغك، وعرق الشهامة نقح عليك.. اهو اتفتح نفوخك يا خورشيد.."

مصاحبة كلماتها بضغطها بقوة على جانب جبهته المصابة،

ليتراجع مجفلاً بألم،

مع صيحته المستنكرة:" ما تخفِ إيدك يا بِشري الله.."

ومع نطقه لاسمها بهذه الطريقة، اشتعلت نظراتها تجز على أسنانها بغيظ، تزيد من عنف حركة يدها على وجهه،

فيشهق متألمًا، وهي ترمقه بشماتة مغلولة،

قبل أن تسأله باقتضاب:" مروحتش ليه المستشفى, وعملت محضر؟.."

زم شفتيه بأسى، يتلمس جانب فكه بحذر، يجيبها بثقل:" بعد ما خلصوني من إيديهم، خدني محامي زميلي وصلني لهنا بالعربية.. وبعدين مش عايز احتكاك بيهم تاني.."

رفعت عينيها لأعلى تلتمس الصبر، مرددة بهمس:"

منك لله هتبوظ سمعة المكتب يا بعيد.."

عادت إليه، تضع بعض اللاصقات الطبية على جروحه، تنهض من جواره ململمة علبة الإسعافات الأولية،

تهم بالخروج، مع قولها الحانق:" أنا هشوف النهاردة العملا بدالك, وإنت ريح.."

لم يجبها سوى بهزة رأس خفيفة، يستلقي ببطء متأوهًا على الأريكة،

مرددًا بإشفاق:" يا عضمك اللي اتفشفش يا خورشيد.. أخدت علقة مأخدهاش حمار في مطلع.."

مصدرًا صوتًا ساخرًا، مردفًا بتهكم:" خير تعمل, شر تلقى.."

هزت بُشرى رأسها بيأس، تخرج من غرفة مكتبه، مغلقة الباب خلفها،

مرددة بنزق:" طول عمرك موكوس.. محامي على ما قُسُم.."

رفعت ذقنها بترفع، مرتدة قناع الجدية، موجهة حديثها للرجل الخمسيني الجالس على مكتب

الاستقبال:" عم رضا أي عميل ييجي النهاردة, ابعته مكتبي أنا.."

رمق المدعو رضا باب خورشيد المغلق، ثم عاد بنظراته لبُشرى،

يسألها:" حالته صعبة أوي للدرجادي يا أُستاذة؟.."

ضحكت ضحكة مبتورة دون مرح، ترد عليه بيأس:"

صعبة لدرجة احتمال تروحه إنت يا عم رضا.."

تاركةً إياه لتعود لغرفة مكتبها، تجلس على كرسيها،

متنهدة بتثاقل مما يحدث مع تعيس الحظ خورشيد..

****

كأي ظرف طارئ للجيران, وخاصةً منال جارتهم

بالطابق السادس, تترك صغيريها عندهم, فهي لا

تأتمن أحد عليهما,

سوى (طنط هبة)

وتركهما هذه المرة صادف يوم اجازة بُشرى, التي استيقظت من النوم ظُهرًا لتجد مازن ذو الست سنوات, يعبث بمحتويات غرفتها, وكأنه (بيت اللي خلفوه) على حسب قولها,

تأففت بحنق, تخرج من غرفتها, متجهة لوالدتها, التي وجدتها تجلس بالصالة, تراقب معتز شقيقه ذو العامين,

فارتمت بجوارها, قائلة بنزق:" هي منال دي مش هتبطل ترزينا بولادها كل شوية؟.."

فلا تنال إلا نظرة تقريع من والدتها, مع قولها المُمتعض:" الناس لبعضيها, عادي الست عندها ظروف.."

زمت شفتيها تمطهما للأمام بعدم رضا, تغوص بمقعدها أكثر, تسألها بنزق:" طب هفطر إيه؟.."

أشاحت هدى بيدها بعدم اكتراث, ترد عليها:" شوفيلك أي حاجة بالمطبخ.. وابقي شوفي مازن لو جعان ياكل معاكِ.."

ارتفعت شفتها العليا بشهقة, مع قولها المستنكر:" ليه ان شاء الله.. كنت خلفته ونسيته؟.."

لكنها بترت باقي كلماتها حين رمتها هدى بنظرة محذرة, جعلتها تنهض من مكانها, تتحرك مبرطمة بكلمات غير مفهومة للمطبخ,

لتجد مازن يدلف إليها بعد لحظات,

قائلاً بسماجة لا تناسب عمره:" طنط بُشرى.. جعان.. عايز كورن فليكس اللي عليه صورة الأسد.."

بوجه مقلوب رمقته بحنق, قبل أن تتجاهله, مكملة إعداد فطور لها, مع فنجان من القهوة السادة حتى يتحمل رأسها صداع اليوم,

فعاد مازن يتمسك بجاكيت منامتها, يجذبه بقوة,

قائلاً بإلحاح:" عايز قهوة.. عايز قهوة.."

أزاحته, ترد عليه بفتور:" القهوة سادة.. مفيهاش سكر.. سودة.."

فيفاجئها بقوله العفوي:" ماما بتقول عليكِ سودا.. بس أنا مش شايف اللون ده.."

اتسعت عيناها بذهول, ما لبث أن تحول لغل, والصغير يُثرثر بما تقوله والدته, كعادة الأطفال..

بعد أن أعطته (الكورن فليكس) كما أراد فلا تريد صراخه, وتقريع والدتها,

وحين انتهى من أكل مجرد ملعقتين من الطبق, وقد تلوثت يده, وجدته يتمسك بمنامتها مجددًا, فتتسخ, وهو لا يبالي,

يركض هنا وهناك, ويدلف لغرفتها, بعد أن دخلت إليها, يعبث بمحتوياتها,

وهي تحاول كبت غضبها, خاصة وقد جلست والدتها معها بالغرفة, تتحدث معها عن عريس ما قد أخبرها إحدى قريباتها عنه,

وقد يزورها بالمكتب هذا الأسبوع, فعليها أن تهتم بمظهرها حتى تكون جميلة,

ليتدخل مازن بالحديث, قائلاً:" ماما بتقول طنط بُشرى مش حلوة.. ماما أحلى منها.."

أطبقت بُشرى على شفتيها, مُشيرة إليه بغل, مع قولها لوالدتها:" شوفتِ.. شوفتِ أمه.. يا بتاعة الجيران لبعضها.."

مغتاظة منه ومن والدته، تحركت ترسم ابتسامة صفراء مغلولة حتى توقفت بجواره متظاهرة بالتربيت على رأسه برقة،

قبل أن تغوص أصابعها بخصلات شعره, قابضة عليها بكل قوة ترج رأسه رجًا,

هامسة بفحيح:" عسل إنت وأمك.. برميل عسل إسود حمضان.."

ثم عادت تربت على رأسه مجددًا بقوة, وهي تراه يصرخ باكيًا،

تسأله بلهفة بريئة مصطنعة:" مالك يا حبيبي؟.. راسك اتخبطت!.."

فيصرخ باكيًا أنها قد ضربته, ووالدتها تعنفها بيأس:" هتعملي راسك براسه؟.. ده عيل.."

فترد عليها بطفولية:" لا هعمل راسي براس أمه.. ويلا يالا من أوضتي.."

طاردة إياه من غرفتها, وهبة تتحرك خلفه بعدم رضا, تُحاول إسكاته, بعد أن فتح وصلة بكاء مزعجة..

****

بعد يومين, بمكتب المُحاماة, جلست بُشرى بملابسها المُنمقة بعناية مُعتادة, تنتظر حضور ذلك العريس الذي أخبرتها عنه والدتها,

فرتبت مكتبها, مُخبرة عم رضا أن يُدخل إليها ذلك المدعو (محمد) كما عرفت اسمه, حين يصل..

متوترة قليلاً, تقبض يدها, وتبسطها بحركة لا إرادية, تتمنى أن ينال ذلك العريس رضاها,

أجل رضاها هي, ليست مغرورة؛ ولكنها تثق بنفسها كثيرًا, رُغم اهتزاز الموقف قليلاً,

بعد أن وصلت لسن التاسعة والعشرين, وقد شح طالبيها..

أخبرها عم رضا بوصول ذلك الرجل, فأذنت له بالدخول, ترحب به, تدعوه للجلوس, تسأله عما يريد أن يشربه من باب الذوقيات, فيُخبرها مبتسمًا, فتطلب من عم رضا إحضاره,

بعد أن أحضر المشروب, جلسا يتبادلان بعض الكلمات المُعتادة مُثنيًا على ما وصلت إليه بعملها, ومكتبها,

تنحنح محمد, قائلاً برسمية لبقة:" أُستاذة بُشرى.. طبعًا قالولك بعض المعلومات عني.. بس أحب أعرفك بنفسي.. أنا خريج تجارة انجلش, وشعال مُحاسب ببنك.. عندي ٣٥ سنة.. وعايش مع والدتي, وطبعا هتعيش معايا بعد الجواز.."

جالسة أمامه مبتسمة برزانة, ولا تُنكر إعجابها بأناقة ملابسه, وطريقة حديثه, هزت رأسها موافقة,

تسأله وقد تحرك بداخلها الفضول:" هو حضرتك معندكش إخوات؟.."

هز رأسه, يجيبها:" عندي.. تلت أخوات تانيين.. أخين وأخت, كلهم متجوزين.."

عبست بتعجب, وقد زاد فضولها, لِمَ ستبقى والدته معه هو خصيصًا بعد الزواج؟..

همت بسؤاله, لكن دخول خورشيد سريعًا, قطع حديثها, فرمته بنظرة مغتاظة, لم يأبه لها,

وهو يهتف بلهفة:" بُشرى تعالي معايا بسرعة عايزك.."

وصل إليها يقف بجوارها, مُمسكًا بالمُفكرة الورقية خاصتها بتلقائية, يكاد يجذبها من ذراعها لتنهض معه, جزت على أسنانها بغضب, محاولة التحكم بانفعالاتها, خاصةً مع نظرة محمد المستهجنة بتعجب,

فهمست من بين أسنانها بغيظ:" الله يخربيتك هتوقف حالي باللي بتعمله.."

ابتسمت ابتسامة صفراء, تُعرفه:" أُستاذ خورشيد زميلي بالمكتب.."

انتبه خورشيد لمن معها, نظر إليه, قائلاً بحرج:" آسف مخدتش بالي.. معاكِ عميل.."

رفعت عيناها تنظر إليه بتوعد, مكورة قبضتها أسفل المكتب, تضربه بقدمها بساقه بالخفاء ,

قائلة بنبرة هادئة مصطنعة:" روح يا أستاذ خورشيد على مكتبك, وهحصلك بعد شوية.."

عبس متألمًا من ضربها, يميل برأسه للجانب ناظرًا إليها بتساؤل,

فتُعيد حديثها من بين أسنانها, بتشديد خافت:" روح يا خورشيد.."

تنهد بخفوت, قائلاً:" ماشي.. كان فيه عميلة مهمة بس كنت عـ...."

فتقاطعه بنفاذ صبر, مُحاولة عدم تعلية صوتها:" جاية وراك.. اتفضل.."

تحرك بنزق متململاً, غير مُرتاح لذلك الرجل الجالس معها, يتفحصهما بنظراته, وكأنه يراقبهما, بل لم يعجبه من الأساس,

بعد رحيله, ابتسمت بُشرى بحرج, معللة:" حضرتك عارف الشغل والقضايا.."

ابتسم يوافقها بهزة رأس, ينهض من مكانه, قائلاً بلباقة:" فاهم.. فاهم.. طيب استأذن أنا دلوقتي, وأسيبك تشوفي شغلك.."

مد يده إليها, فنهضت بدورها, تتحرك من خلف مكتبها, ترد إليه سلامه, تخرج معه توصله لباب مكتبها, تراقبه حتى رحل من المكان,

وبلحظة انقلبت ملامحها للغضب, تتحرك منفعلة, اتجاه مكتب خورشيد تتوعده,

فتحت الباب بقوة, تفغر فاها لتصرخ معنفةً إياه, لكن الكلمات توقفت على طرف شفتيها, وهي ترى العميل الجالس أمامه على الأريكة..

وصوت خورشيد يدعوها بحماس:" تعالي يا بُشرى.."

وبُشرى تحركت بخطوات لا إرادية, تتطلع للعميل,

بل العميلة, تجلس ببطء على الكرسي المقابل,

تتفحصها بجلستها, من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها,

بفاه مفغور بانبهار, تكاد تُطلق صفير مُعجب,

فمن أمامها (فرسة) على قول بشير شقيقها,

شعرها الأسود الغجري المُنساب خصلاته, وجهها البيضاوي, بعينين خضراوين, أنفها الصغير, وشفتيها المطليتين بأحمر شفاه بلون الكرز..

هبوطًا لعنقها الطويل الظاهر من فتحة فُستانها الرمادي, الملفوف به جسدها الذي يُشبه ساعة الرمل بتكوينه,

يصل لما بعد الركبة, لكنه انحصر بجلستها, ليُظهر ساقين مرمريتين, ينتهي بحذاء عالي أسود اللون..

غافلة بتفحصها عن كلمات خورشيد, الذي يوضح لها قضية, وحكم الميراث..

_بُشرى..

أجفلت تنظر إليه, بنظرات مشدوهة, تعجب لها خورشيد, حين عادت تتطلع للعميلة,

التي قالت بنعومة فطرية:" أُستاذ خورشيد.. كتير قالولي عنك وأنا متفائلة خير بيك.."

ونبرتها, جعلت بُشرى تتنهد بخفوت,

وخورشيد يطمئنها:" اطمني يا مدام.. القضية مضمونة.."

ثم حول حديثه لبُشرى يوضح:" مدام نورا ليها ورث عند أهل جوزها المرحوم, ومش راضيين يدوها.."

فتهمس بُشرى بشرود:" أكيد متحملش النور, والفولت العالي ده كله.."

_ياما.. بُشرى ركزي معايا..

وصوت خورشيد, عاد يُنبهها من شرودها, مع نهوض نورا, تودعهما, فمدت يدها تسلم عليها, لتصعقها نعومة بشرتها,

وخورشيد يوصلها لباب المكتب, قبل أن يعود لبُشرى الهائمة بقدميَّ تلك القشطة، وما إن رحلت حتى,

قالت ببؤس:" رجليها أحلى من حياتي.."

ضحك بخفوت من قولها, يهز رأسه بيأس مرددًا:" بِشري فوق معايا.."

رفعت وجهها بسحنة مقلوبة ترميه بنظرتها الساخطة, وقد أفاقت من حالتها,

قائلة بشفتين مقلوبتين باعتراف مُكرهة:" هو فعلا أنا جمبها بِشري وبشنبات, بس نراعي الكلام يا خورشيد علشان المشاعر المحطمة هنا.."

_لا هو إنتِ عندك مشاعر يا بُشرى؟..

وسؤاله السخيف بمزاحه,

جعلها ترد عليه بجمود مُحذرة:" لا عندي رز ولسه هحشيه, ما تظبط بقى متخلنيش أخرج عن شعوري.."

_خلاص خلاص انصرفي.. لا تأذينا ولا نأذيكِ..

_شايف عفريت بتصرفه!..

زفرت بحنق, قبل أن تجلس أمامه, بعبوس, تسأله عن القضية, فيُخبرها بالتفاصيل..

قبل أن يسألها بفضول, عن ذلك العميل الذي كان معها منذ قليل,

فتحتد نظراتها بغيظ, وقد تذكرت, توبخه:" مكنش عميل ياخويا.. ده عريس.. وكنت هتطيره بعمايلك.."

ارتفع حاجباه بدهشة, مرددًا:" عريس!.."

فتومئ مؤكدة بنزق, مع ترديده بغباء:" إنتِ جالك عريس!.."

عبست بوجهه, هاتفة بسخط:" ومالك مش مصدق يعني؟.. مشبهبشي.. مكتوب على وشي ممنوع, ولا خارجة من التُرب بكفالة!.."

تجهم من حديثها, قائلاً بحنق:" وزعلانة إني دخلت كده؟.. احنا هنشوف أكل عيشنا, ولا هنقضيها مقابلات واتنين لمون وشجرة؟.."

ونبرته المحتدة بغير قصد, تعجبت لها, لكنها لم تكترث له, تنهض من مكانها,

مُنبهة:" يا ريت تاني مرة تخبط قبل ما تدخل.. نراعي منظرنا برضو قدام العملا.."

فيستفزها ببرود:" ماشي يا بِشري.."

تمتمت بكلمات هامسة, يكاد يجزم مفادها, قبل أن تتهكم على اسمه:" بتتريق على اسمي!.. شوف اسمك الأول.. والله ما عارفة أبوك سماك خورشيد إزاي!.. اللي ما ليه اسم دلع, ولا حتى اختصار.."

فيضحك بسخافة ضحكة قصيرة, مع رده السمج:"

خديه كوبليه واحد من غير تقطيع.."

فترحل من أمامه بغيظ, ضاربة الأرض بقدمها, وهو يتراجع بظهره مسترخيًا بجلسته, مع شرود نظراته للفراغ..

****

التقيا بالمحكمة صباحًا, حيث جلست بُشرى بقاعة المحكمة, تاركة المجال لخورشيد, كي يترافع بقضية, كانا قد عملا عليها سويًا بجهد, وهي راقبته ببسمة راضية,

فرُغم كل شيء, لا يمُكنها إنكار براعة, وذكاء خورشيد, وفطنته في انتقاء كلمات مرافعاته, وقدرته على الإقناع,

بعيدًا عما يلاقيه في بعض الأحيان من الخصوم الذين, يغتاظون منه, مسببين له المشاكل,

لكن مكتبهما يشتهر بالنزاهة بعيدًا عن كل ألاعيب الكثير من المحامين غيري الشرفاء..

انتهت المرافعة, وأُعلن الحُكم بفوزهما بالقضية,

فخرجا من القاعة, تحت نظرات محامي الخصم الساخط,

وبُشرى تُثني عليه:" برافو يا خورشيد.. مرافعة حلوة.."

طوى رداءه الأسود يضعه على ذراعه, مبتسمًا بهدوء,

يرد عليها:" منكرش مجهودك يا بُشرى.."

نظر لساعته فوجدها تقارب الثانية عشر, فسألها:" هترجعي ع المكتب؟.. آخدك بطريقي.. ولا هتروحي!.."

عقدت حاجبيها بتعجب, ترد سؤال بسؤال:" هو إنت مش رايح المكتب؟.."

تحرك كلاهما خارج المبنى, يتجهان لسيارته, يخبرها بإيجاز:" لأ.. هعدي على مكتب تبع ورثة موكلتنا مدام نورا.. وبعدها أرجع المكتب.."

وذكر نورا ذات المقومات المتفجرة, ارتفع له حاجبها, قائلة:" هتعمل إيه هناك؟.."

_هحاول أخلص الموضوع بشكل ودي..

مطت شفتيها تحركهما لكلا الجانبين بحركة شهيرة, متهكمة:" اه عارفاه الودي ده بيقلب بإيه.."

تنهدت تهز رأسها بيأس, مردفة:" لا هاجي معاك أشوف النظام.."

هز كتفه بلا مُبالاة, يركب السيارة, وهي بجواره ينطلقان للمكان, وما إن وصلا حتى تطلع كلاهما للمبنى بإعجاب,

وبُشرى تقول:" لا ليها حق تتمسك بميراثها في المكان ده.. السعر معدي هنا.."

أومئ موافقًا, يهبط من السيارة, يجول بنظراته المكان, فلا يجد سوى حارس أمن, سأله عن الشخص الذي يريد مقابلته, شقيق زوج نورا,

فدله الحارس على طابق مكتبه,

تحركا سويًا يدلفان للبهو, فينبهرا أكثر بروعة المكان, يستقلا المصعد للطابق الرابع, يخرجان منه,

لكن الطابق كان خاليًا بطريقة غريبة, وباب المكتب مفتوح, مع صمت يعم المكان,

تحرك خورشيد اتجاه الباب ينوي الدخول, لكنه بُشرى همست تسأله:" رايح فين؟.."

فيجيبها ببديهية:" هندخل.."

متبعًا كلماته بتحركه, مُهمًا بالدخول, حين قبضت على ذراعه,

تحدجه بنظرة مرتاعة, هاتفة:" أبدًا.. وربنا ما يحصل.. هتستهبل عايز تلبسنا مصيبة زي آخر مرة.."

تململ مُفلتًا ذراعه من قبضتها, قائلاً بنزق:" بس بقى سبيني.."

عادت تتشبث به, بوجه باكٍ, قائلة بيأس:" مانا لو سبتك هنلبس سوا.. حرام عليك يا خورشيد اللي بتعمله فينا.. ده لولا ستر ربنا كنا لبسنا قضية قتل المرة اللي فاتت.."

متذكرة تلك القضية التي تولياها, حين ذهبا لرؤية الخصم أيضًا؛ فوجدا المكان ساكن, ليدلفا, فيجدا رجلاً مقتولاً,

كادا أن يتم اتهامهما فيه, إلا أنه ولحسن حظهما أتت شهادة بواب العمارة لصالحهما,

حيث شهد بأنه رأى قريب المجني عليه يرحل قبل وصولهما بدقائق بحالة غريبة, وبعد القبض عليه, اعترف تحت ضغط شديد, وخرجا منها بسلام..

عادت بُشرى تُصر على عدم الدخول, حين تناهى لسمعهما صوت ضحكات رجولية, مختلطة بصوت أنثى,

فأشار إليها خورشيد بسبابته, قائلاً:" أهو فيه ناس جوا.. يلا.."

تحرك وهي خلفه, تزفر بحنق, يتبعان الأصوات, بعد أن وجدا مكتب الاستقبال فارغ,

ليصلا لغرفة مكتب, باب شبه مُغلق, طرقاه, لكن لم يجب أحد, ففتحه خورشيد, لتتسع عيناه,

ومن خلفه بُشرى, تشهق وهي ترى ذلك الوضع المُخل, الذي قطعه عليها خورشيد, وهو يدفعها ليخرجا سويًا,

يرى وجهها المحتقن من المنظر المُخزي, فيعبس بغضب, شاتمًا,

قبل أن يُفتح الباب, ويخرج الرجل, هادرًا بعصبية:" إنتوا إزاي تدخلوا كده؟.."

نظر إليه خورشيد بامتعاض, يتفحصه بقرف, فغر فاهه ليرد عليه,

لكن شهقة بُشرى من خلفه, مع قولها المذهول:" مدام نورا!.."

جعلته يرفع نظراته ليرى تلك الواقفة بالمكتب, تعدل من هيئتها وفستانها الأسود, وقد تفاجأت بوجودهما,

اقتربت منهم, تتنحنح بحرج, قائلة بابتسامة مرتبكة:" أهلا أستاذ خورشيد.. بتعمل إيه هنا؟.."

وخورشيد حدجها بنظرة سوداء جامدة, قائلاً بنبرة ذات

مُغزى:" كنت جاي أحل الموضوع, ونتفق بشكل ودي يا مدام, بس واضح إنك سبقتيني.."

ونبرته المبطنة, جعلتها تطرق بنظرها لأسفل, فيما شقيق زوجها, يقول بخشونة:" مدام نورا كانت هتتنازل عن القضية أصلاً, احنا اتفقنا على كل حاجة.."

التوت شفتا خورشيد ببسمة ساخرة, مع تعليقه:" واضح على وش حضرتك.."

تلبك الرجل, يرفع يده لوجهه, يمسحه بعشوائية, وخورشيد, يوجه حديثه لبُشرى:" يلا يا بُشرى.."

تحركا, قبل أن يلتفت بوجهه لنورا من فوق كتفه, قائلاً بسخرية:" البقاء لله يا مدام.. بس اللون الأسود بتاع فستانك جه متأخر.. ولا ده احتفالاً بالاتفاقية على روح المرحوم؟.."

زمت بُشرى شفتيها تكبح ضحكة, مكملة طريقها للخارج, وخورشيد خلفها, حتى وصلا للسيارة, فتركت العنان لضحكاتها,

قائلة بمرح:" وأنا اللي كنت خايفة نلبس في جثة, كنا هنلبس أداب.."

لم يجاريها في مزاحها, يفتح باب السيارة بقوة, يأمرها بالركوب, وبعد أن تحرك,

هتف بحدة:" فكريني متروحيش معايا أماكن زي كده تاني.."

تحولت ضحكاتها لابتسامة متعجبة, تميل برأسها قليلاً مستفهمة,

فيزداد عبوسه, مع قوله المرتبك:" بشير لو عرف باللي شوفتيه احتمال يقتلني.."

هزت رأسها يأسًا منه دون حديث, عائدان للمكتب, ليتابعا قضاياهما..

****

كالعادة جلست بسحنة مقلوبة, بعد مُكالمة هاتفية من قريبة لهم, والتي دعتهم لخطبة ابنها,

والذي كانت قد رفضته من قبل, فتتصل بهم؛ كي تزف إليهم نبأ خطبته, على فتاة أصغر منها بثلاث سنوات,

ملقية إليها الكلمات المسمومة, وجملة واحدة

(ربنا يعدلك يا حبيبتي.. بدعيلك على طول يعدلك زي باقي بنات العيلة.. مفيش غيرك الباقية..)

ومع نهاية المكالمة, جلست حانقة, تشتم قريبتها, وابنها سويًا,

فترمقها والدتها شزرًا, مع قولها المُمتعض:" اعدلي بوزك ده.. خلي ربنا يفرجها عليكِ بدل ما مقفلة كده.."

وكلمات والدتها المعتادة، لم تتحملها هذه المرة؛ فنهضت بعينين مغرورقتين بالدموع إلى غرفتها, تصفع بابها خلفها،

وتشيعها النظرات واحدة بتعجب من بشير, والأخرى بزفرة يائسة من والدتها,

خاصةً بعد عدم إتمام موضوعها مع ذلك المُحاسب محمد, والذي اتضح أنه مُطلق, وبما أنه آخر العنقود وحبيب والدته,

تبقى معه لأنها لا تستطيع البقاء بعيدًا عنه, وكانت سبب مشاكل, وطلاق زيجته الأولى..

بعد دقائق فتح بشير باب غرفتها دون أن يطرقه، يجول بعينيه المكان؛

فيجدها بمكانها الذي توقعه، مط شفتيه بامتعاض وقد فهم المزاج الحالي..

وبتعليق هامس ساخر:" فرست نكد بوزيشن.."

تحرك اتجاهها وهو يتفحصها, وقد رفعت شعار النكد الأصيل, فربطت شعرها بربطة معقدة أعلى رأسها،

ترتدي منامة قديمة عتى عليها الزمن, وقد بهتت ملامحها،

والتي توبخها والدتهما عليها، متوعدة بغيظ:" والله مسيري هاخدها أمسح بيها البلاط البيجامة الجربانة دي.."

وبجوارها علبة محارم ورقية، وسماعتها بأذنيها، تستمع إلى أغاني بائسة، تسح دموع البؤس والعذاب..

ارتمى يزاحمها على الاريكة المتوسطة الحجم، ينزع السماعات؛ فترمقه باستنكار حانق من بين دموعها،

وهو يقول بملل:" ارحمينا من مود المطلقين ده يا أمي.."

لم ترد عليه مشيحة بوجهها, مع زمها لشفتيها المرتعشتين، بشهقات مكتومة،

جعلته يزفر بضيق، مكملاً بحنق:" مالك يا بُشرى؟.. من امتى بتزعلي من كلام ماما وتتأثري؟.. مانتِ جِبلّة طول عمرك.."

وكلماته الفظة جعلها ترميه بنظرة محتقنة، هاتفة بسخط:" إنت جاي تستفزني مثلا!.. قوم من هنا وسبني في حالي.."

لم يبالي لقولها، يجذب منها السماعات التي كادت تُعيدها لأذنيها،

قائلاً:" بقولك إيه فكك من جو الصعبنيات ده, وقوليلي مالك, علشان إنتِ عارفة مليش خُلق للنكد.."

مطت شفتها السفلى بطريقة طفولية بائسة، مع قولها الخافت بحزن:" أنا تعبت يا بشير.. وماما مزوداها عليا.. كل شوية محسساني إن موضوع الجواز, وتأخيره ده بإيدي.."

ارتفع حاجبه بنظرة متهكمة، يرد عليها:" مانتِ اللي كنتِ بتتبطري ع العرسان اللي كانوا بيجولك.. وعلى كلمة واحدة ماخدوش يا بابا ماخدوش.. لحد ما فكروكِ عازفة عن الزواج.."

تنهيدة مثقلة خرجت منها، مطرقة رأسها بأسى، فزفر مجددًا، حين عادت تبكي بخفوت،

مقتربًا منها حد الالتصاق، مردفًا:" أمك وكلمتين بترميهم وبعدها بتسكت، مش محتاجة كل البؤس ده يا بُشرى.."

رفعت وجهها تنظر إليه، مع قولها المتبرم:" أنا كمان عايزة اتجوز يا بشير.. زهقت بصراحة.. زهقت من القعدة كده، ومنك إنت وأمك.."

رماها بنظرة مغتاظة، وهو يشتمها من بين شفتيه بصمت،

قبل أن يقول بقرف:" مش أكتر مني والله.. بس كله نصيب من عند ربنا.. قادر يخلي واحد ينتص بنظره ويتقدملك.."

ضحكت تمسح دموعها بظاهر كفها، وهي ترى وجهه الساخط، قبل أن تميل برأسها لكتفه، متنهدة بخفة،

وهو سكن قليلاً، بعدها قال:" عارفة لو تبطلي عبط هتتعدل، بلاش الوش الخشب اللي بتصدريه للكل.. وحبستك في البيت على طول.."

مع كلماته ارتفع رأسها كالقذيفة، موازية قذائف كلماتها الغاضبة:" أروح عند مين مثلا؟.. قرايبنا اللي كل ما يشوفوا وشي.. يقولولي مفيش عريس جديد؟.. ولا اللي بيستلمونا بوصلة بؤس السنين لمشاكلهم، ولا جيرانا الـ....."

أسرع مكممًا فاها بيده، هاتفًا:" والله مانتِ مكملة، خليكِ قاعدة بأوضتك أرحم لينا وليكِ.."

أغمضت عينيها وعادت تبكي، فنزع يده عن فاها، مرددًا:" يا الله يا ولي الصابرين.. خلاص ياما كفاية.. هدورلك على عريس بمجانص وترابيس ارتحتِ!.."

ضحكت على كلماته، فعاد يقول ممازحًا:" والله بهرمونات نكدك اللي طافحة اليومين دول, تحسي إنك حامل.."

فترد عليه سريعًا بنبرة باردة:" لا باخد موانع.."

بسرعة البرق أمسك ياقة ملابسها الخلفية يرجها،

مرددًا بنبرة مخيفة:" نعم ياختي!.. "

فينال نظرة مستهجنة، مع قولها اليائس بقلة حيلة:" أنا جعانة يا بشير.. اكلني يمكن أفُك.."

نفض يده عنها بوجه مقلوب، قائلاً بسخط:" قولي إن الفيلم ده كله؛ علشان تدبسيني بأكلة من برا.."

صمت لبرهة, ثم أضاف بقلة حيلة:" كان على عيني ياختي.. بس أمك مانعة الدليفري, وإنتِ عارفة.."

تجهمت ملامحها المُنذرة بالبكاء،

فقفز واقفًا, يهتف بحدة:" بطلي تقويق خلاص هتصرف.. بس هناكل في السكرتة، ولو اتقفشنا لنا الله.."

تحرك مهمًا بالانصراف، يفتح باب الغرفة، حين سمع صوتها الناعم:" بحبك يا بشير.."

زم شفتيه ململمًا ابتسامة متأثرة، قبل أن يلتفت إليها، مربتًا على صدره بعرفان،

يشاكسها بما يعرفه سيصيبها بالجنون:" موشكرين يا بِشري على ذوقك.."

اختفت ملامحها الرقيقة، وقد توحشت نظراتها،

صارخة بجنون:" متقوليش يا بِشرااااااااي.."

هرب من الغرفة وضحكاته تنطلق مجلجلة،

مع صوت سِبابها الغاضب؛ وهي تقول:" بكرهك يا طويل التيلة, يا زرافة.. يا متخلف.."

****

دلفت كعادتها للمكتب تجلس على مقعدها, ترتب أوراقها واضعة نظارتها الطبية تتفحص ما لديها،

مرت ساعة ولم يصل؛ زفرت بحنق من ذلك المستهتر دومًا يتأخر, وينسى مواعيده؛

عادت لما بيديها؛ قبل أن يتناهى لسمعها صوت بكاء رضيع،

عبست بدهشة, قبل أن يصمت الصوت؛ فيُهيأ لها أن ربما مر أحدهم أمام المكتب صاعدًا الدرج بطفله،

لكن عاد الصوت مرة أخرى من ناحية باب مكتبه المُغلق، فنزعت نظارتها تنهض من كرسيها, تتحرك اتجاه الصوت ببطء بهيئة المتلصص،

ومع كل خطوة يتعالى الصوت، ففتحت الباب بقوة, وهي تنظر بعينين متسعتين, تتلفت يمينًا ويسارًا حتى وقع بصرها عليه,

يجلس بعينين متسعتين مصعوقتين، وأمامه عربة أطفال حديثة الطراز تحتوي على طفل باكٍ يتصارع بقدميه،

فهتفت بذهول:" ايه ده؟.. إنت جيت امتى, ومين ده؟.."

مشيرة للصغير،

أجفل يرفع وجهه ناظرًا إليها بذهول، لا يعرف بماذا يجيبها؛

تقدمت مجددًا تتطلع للطفل, وتعود لسؤاله،

فينظر إليه بدوره، يجيبها بغباء:" عيل لقيته قدام شقتي, وبيقولوا إنه ابن ابن عمي.."

مادًا إليها يده بورقة كان مُطبقًا عليها بقبضته, فأخذتها منه تقرأها,

ومع كل كلمة, كان يرتفع حاجباها بذهول مما تقرأه,

لقد توفى ابن عمه الذي كان يعمل بدولة من دول الخليج, وزوجته بحادث مروري,

وقبل وفاة الأخير, أوصى الكفيل أن يُرسل الصغير إليه؛ فهو آخر من تبقى لديه من عائلته؛ كي يربي الطفل,

ليُفاجئ بالصباح بأحدهم يطرق بابه ومعه الطفل, يعطيه إياه, متعللاً بتأخره بسبب وقف رحلات الطيران بالفترة السابقة, بسبب فيروس كورونا..

ومع إعادة حركة الطيران, وعودة أول الوافدين, أتى إليه بالصغير؛ كي ينفذ وصية والده, ويعطيه لأهله, وأهله متمثلة به هو!..

_أنا لبست..

ونبرته لا تزال مصعوقة,

عيناه لا تفارقا الصغير الباكِ, بهلع واضح,

وبُشرى تنقل نظراتها بين الورقة, وبينه, تسأله:" طب ايه؟.. يعني زي الأفلام هتورث, ولا هتكون الوصي عليه!.."

وسؤالها جعله ينظر إليها, رافعًا كفيه يحركهما بارتياع، مع تحريكه لشفتيه لكلا الجانبين بحركة شهيرة,

مرددًا بسخرية سوداء:" وحياتك شكله هو اللي جاي يورثني.."

فتشيح بيدها باستخفاف, مع قولها الساخر:" يا عم روح إنتَ حيلتك حاجة إلا بدلتك.."

لكنها ما لبست أن صمتت مفكرة قليلاً, ثم قالت:" ثانية واحدة ده فعلاً هيورث معاك يا خورشيد.."

عبس بعدم فهم, أو غباء شديد من هول الموقف, يتركه لا يستطيع التفكير, أو الاستيعاب,

فتُكمل موضحة:" ابن عمك ده مش كان وريث معاك في العمارة دي.. معناه ابنه ده هيكون مكانه.."

تنهد بقوة غير مبالي لذلك الموضوع الذي لا يعتبره مهمًا من الأساس, مشكلته الحالية بذلك الطفل, الذي سقط عليه كنيزك من السماء..

كيف سيعتني به؟..

هو لا يعرف أي شيء عن عائلة زوجة ابن عمه المتوفاة, أو كيفية الوصول إليهم, فكل ما يعرفه أنها كانت تعمل بالخليج, وتعرف عليها هُناك..

رفع يده يضعها على وجنته بقلة حيلة, ناظرًا لبُشرى التي حملت الصغير الباكِ من عربته, تهدهده, وهي تتحرك بالمكان,

فيسألها ببؤس:" هعمل إيه أنا دلوقتي؟.."

دون أن تتوقف عن تحريك الطفل لمحاولة إسكاته,

قالت بزفرة حانقة:" أول حاجة تنزل تجبله بامبرز, ولبن يا مُرزّق.."

ارتفعت شفته العُليا باستهجان, فعادت تهتف بنفاذ صبر:" مش وقت تناحة يا خورشيد.. الواد جعان وعايز يغير.."

تململ بجلسته, مع سؤاله النزق:" وهعرف أجيب أنا ده كله إزاي؟.."

جزت على أسنانها, تود ضربه, ملقية إليه الصغير, والرحيل من المكتب كله, تبتعد عن مشاكله ونحسه,

لكنها عادت تقول من بين أسنانها:" انزل هات بامبرز ولبن من الصيدلية, قولهم عايزهم لطفل عنده سنة.. اخلص.."

وكلمتها الأخيرة خرجت صارخة بأمر, جعلته ينتفض واقفًا, يتحرك اتجاه الباب,

فتكاد تصفع وجهها مولولة, تخبره بنبرة باكية:" خد محفظتك, وتليفونك معاك.."

تلفت حوله بتشتت, فتحركت اتجاه الأريكة التي كان يجلس عليها,

تنحني بجذعها, ملتقطة محفظته الجلدية, مع هاتفه, تلقيهما عليه بغيظ, ليرتطما بصدره, فيتأوه رُغم إمساكه بهما,

لكنه يقف مكانه دون حراك,

فتعود بُشرى صارخة به:" اتحرك, وهات اللي قولتلك عليه.."

عبس بوجهها بحنق, وهو يراها كزوجة نزقة تأمره, وهي تحمل الصغير, لكنه امتثل لأمرها, وتحرك مُسرعًا ليُحضر ما طلبته,

تنهدت بيأس مما يحدث معه, فيعود وباله عليها بدورها, تنظر للصغير الذي بدأ يهدأ ولو قليلاً, تتأمل ملامحه الجميلة, فتبتسم بتلقائية..

شعر كستنائي ناعم, بغرة على جبهته, وجه أبيض منمنم مكتنز, تتوسطه عيناه باللون العسلي, وجسده الصغير بملابسه التي تدل على مدى اهتمام من كانوا يعتنون به,

رقت ملامحها أكثر, تجلس وهو بحضنها, ينظر إليها بعينيه الواسعتين,

فتُحدثه بنعومة مشفقة:" عيني عليك يابني.. نصيبك الأخبر وقعك بعمك خورشيد المنحوس.."

وعلى ذكره لم تمر دقائق, فوجدت هاتفها يدق برقمه, فردت عليه, لتسمعه,

يهتف بارتباك حاد دون قصد:" أنا مش عارف أجيب إيه يا بُشرى.."

زفرت بكبت تسأله:" إنت فين يا خورشيد؟.."

تلتفت حوله, يجيبها:" أنا في الهايبر اللي ورانا.."

فتصرخ بحدة مجفلة الصغير:" مش قولتلك تروح الصيدلية.."

عبس يزم شفتيه, مع قوله الممتعض:" قولت الهايبر أقرب, وفيه كل حاجة.."

تطلع حوله مجددًا بذلك القسم المُخصص للأطفال,

يسألها ببؤس:" قدامي حاجات كتير.. أجيب إيه؟.."

رفعت يدها تمسح وجهها بنفاذ صبر, ترد عليه بإنهاك:" هات أي حاجة عندك.."

زاغت نظراته, يقف كالأبله لا يعرف ماذا يفعل,

فيعود ليقول بتذمر:" مش عارف.."

أغمضت عينيها بنفاذ صبر, تحبس أنفاسها,

تريد قتله, فيعود صوته يلح,

لتجيبه بتشنج من بين أسنانها, وكأنها تحادث طفل صغير:" فيه حد من اللي شغالين بالهايبر عندك؟.."

همهم موافقًا,

فأكملت:" اديله التليفون.."

عقد حاجبيه بتعجب, يسألها:" ليه؟.."

وقدرتها على التحكم بأعصابها تكاد تنهار, فتخبره بخفوت غاضب على وشك الانفجار:" خورشيد اعمل اللي بقولك عليه واخلص.."

تحرك بتبرم اتجاه عامل يقف بالقرب من أحد الأرفف, يخبره بإيجاز أنه لا يعرف ماذا يشتري, ويمد إليه الهاتف بتجهم,

فيبتسم العامل وكأنه مُعتاد على تلك المواقف,

يرد بلباقة:" أيوه يا مدام.. حضرتك عايزة أي نوع؟.."

كتمت بُشرى سُبّة للعامل, وسِباب لخورشيد بعد سماع كلمة مدام,

لكنها قالت باقتضاب:" من فضلك عايزة بامبرز لطفل عمره سنة, ولبن كمان.. أي نوع مش مهم.."

فتسمع العامل يملي عليها بعض الأنواع المتواجدة بالمكان, الأفضل, وما عليه بعض التخفيضات,

وهي تستمتع بعينين مقلوبتين بضجر, لكنها التقطت اسم كانت قد سمعته من قبل,

فتخبره أنها تريد منه, فيبتسم موافقًا, يعطي الهاتف لخورشيد, الذي عاد يضعه على أذنه, قائلاً:" بُشرى؟.."

لم ترد عليه, مغلقة الهاتف بوجهه, فعبس ينظر للشاشة بتعجب, قبل أن يتحرك اتجاه العامل, يأخذ منه ما أحضره, يدفع ثمنه, ليعود إليها..

حين عاد للمكتب, كان رضا قد وصل, فعبس بتعجب مما يحمله, يود سؤاله,

لكن صوت بكاء الصغير, قطع حديثه قبل البدء, فتحرك مع خورشيد لمكتبه ينظر بفضول, للطفل الذي تحمله بُشرى,

التي هتفت بغضب ما إن لمحت خورشيد وضعت الصغير بعربة الأطفال, واتجهت إليه:" أخيرًا وصلت.. هات.."

ملتقطة منه ما يحمله بحدة,

تفتحهم وهي تهمهم بسخط:" حسبي الله ونعم الوكيل.."

تأخذ حفاضة, متجهة للصغير مجددًا,

تحمله راحلة به اتجاه حمام خاص بالغرفة,

مع قولها من فوق كتفها بأمر:" دفي كوباية مايه.."

فيسألها بعدم فهم:" ليه؟.."

ليجفل منتفضًا مع صراخها:" اخلص.."

تحرك خارج الغرفة متجهًا للمطبخ, ورضا خلفه,

يسأله بفضول مذهول:" مين العيل ده يا أُستاذ

خورشيد؟.."

أشعل خورشيد جهاز تسخين المياه, يجيبه بتنهيدة

مثقلة:" اااه يا عم رضا.. اااه.. عارف إنت صلاح

ابن عمي.."

_اللي في الخليج؟..

وتساؤل رضا لمعرفته بعائلة خورشيد منذ سنوات,

فقد كان يعمل مع والده وعمه قديمًا..

هز رأسه موافقًا, مضيفًا بثقل:" مات من مدة هو ومراته, وبعتولي ابنه ده علشان ملوش غيري.."

شهق رضا بصمت متأثرًا, قائلاً بأسى:" لا حول ولا قوة إلا بالله.. البقاء لله يا أستاذ.. شد حيلك.."

فيظهر البؤس على ملامح خورشيد,

فيزداد إشفاق رضا عليه, يربت على كتفه, متمتمًا:" ربنا يعينك يا بني.."

صوت بُشرى وصلهما, فتحرك بكوب المياه,

قائلاً بقلة حيلة:" هروح لبِشري بدل ما يقتلني.."

ضحك رضا يهز رأسه يأسًا,

وهو يعلم غضب بُشرى من الاسم, لو سمعته من خورشيد, لسكبت المياه الساخنة على رأسه,

وبداخل المكتب, أخرجت علبة الحليب, وزجاجة الرضاعة التي طلبتها أيضًا, تحضرها بوجه عابس للصغير, الذي سلمته لخورشيد حتى تنتهي,

ثم أخذته منه, ترضعه, فيشرب الصغير بنهم,

تسأله:" هتعمل فيه إيه يا خورشيد؟.. هتوديه لمين؟.."

فيفاجئها برده البسيط:" هتاخديه معاكِ يا بُشرى.."

_ناعم ياخويا!.. انسى..

ونبرتها خرجت صادحة باستهجان, برفض قاطع..

****

طوال طريق عودتها للمنزل,

وهي متجهمة الملامح, تجلس بالسيارة بالمقعد المجاور له,

وبالخلف يقبع الصغير "يزّن" كما أخبرها خورشيد باسمه, بعربة الأطفال الخاصة, والتي وجدا أنها تتحول لكرسي خاص للسيارة أيضًا..

تهز ساقها بعصبية دون حديث, وهو يرمقها كل دقيقة بطرف عينه, محاولاً عدم استفزازها؛ كي لا تُلقي إليه الصغير,

لكن لم يستطع الصمت أكثر, فعاد يرجوها:" يا بُشرى فُكيها.. مانا مش هقدر آخده معايا دلوقتي.. أنا حتى مش هعرف أحضرله الرضعة.."

التفتت إليه بجسدها بحركة حادة,

تهتف بوجهه بعصبية:

" تقوم إيه.. ترميه عليا.. عادتك ولا هتشتريها!.."

ابتسم بوجهها باستعطاف, مع قوله المُمازح:" إنتِ الخير والبركة بُشرى.."

نظرت إليه بتهكم, مرددة بسخرية:" دلوقتي بقيت بُشرى.. والخير والبركة!.."

زفرت بقوة, مردفة بتنبيه:" خورشيد.. يومين ترتب أمورك وتاخده.. كفاية اللي هتقوله ماما وأنا داخلة بيه.. ربنا يستر.."

هادنها بهزة رأس, قائلاً:" ان شاء الله.."

حتى وصلا أسفل المنزل, فهبطت وهو معها,

يلتف للباب الخلفي, يفتحه, مُخرجًا يزّن بعربته, يتحرك به لداخل البناية, يضعه معها بالمصعد, ثم يهرول,

ليُحضر باقي أغراضه, المتمثلة بحقيبة ملابس كان قد مر على شقته وأحضرها, وعُلبة الحفاضات واللبن, ليعود ويضعهم بالمصعد, يمسك ببابه,

مبتسمًا بسماجة قائلاً:" خلي بالك منه.."

فيرى احتقان وجهها بغضبها, تكاد تنفجر؛ لكنه أسرع يُغلق باب المصعد عليها, هاربًا من أمامها,

وهي تقول بوجه باكٍ:" منك لله.."

ما إن وصل المصعد لطابق شقتهم, حتى فتحت بابه بقوة, تُخرج الأغراض تباعًا, وبعدها الصغير, تغلقه خلفها, بإحكام,

فلا تريد لأحد أن يهتف

" اقفلوا باب الاسانسيييييير"

لكن ما إن تحركت خطوتين, حتى وجدت من يهتف خلفها:" مين ده يا بُشرى؟..

وسؤال جارتها الفضولي؛ جعلها تشتم من بين شفتيها المزمومتين بصمت,

قبل أن تلتفت لها, مبتسمة بسماجة, تُجيبها بأول فكرة طرأت على بالها:" ابن واحدة صاحبتي يا طنط.. بعيد عنك جالها كورونا هي وجوزها, فجبت الواد يقعد عندنا.."

وحين سمعت جارتها المرض؛ انتفضت تتراجع عنها أمتار,

هاتفة بهلع :" كورونا يا لهوي.. وجيباه هنا ليه؟..

يعني إنتِ كنتِ عندهم!.."

_ايوه أخدته منها قبل ما ياخدوهم العزل..

_طيب طيب..

مشيحة بيدها وكأنها تصرف عنها عفريت مهرولة للأسفل؛

وبُشرى تبتسم بانتصار سعيد فجارتهم الفضولية, ستقطع زياراتها المتعددة لهم, لمدة لا بأس بها, وسترتاح منها..

أكملت طريقها لباب الشقة, تفتحه بهدوء, تأخذ نفسًا عميقًا تزفره بروية, متوجسة من رد فعل والدتها,

والتي كعادتها ما إن سمعت صوت المفتاح

يدور بالباب, حتى أسرعت تستقبلها بالمُعقمات الضرورية, قبل دخول الشقة..

لكنها توقفت بمنتصف الطريق, وهي ترى ما بيد بُشرى,

تسألها بعينين مستفهمتين:" إيه ده؟.."

ثبتت بُشرى عربة الصغير, قبل أن تلتفت لوالدتها, تجيبها:" ده قريب خورشيد, وهيقعد معانا يومين لحد ما يرتب أموره.."

سقطت عبوة المطهر من يد والدتها أرضًا, وهي تضرب بيدها على صدرها, هاتفة بنبرة مفجوعة:" دخلالي بعيل البيت!.. يا مصيبتي السودة.."

ضحكت بسخافة, وهي ترد عليها مُمازحة:

" اهو تغيير يا ماما.."

ونبرتها السمجة بمزاحها؛ كادت أن تنال بسببها مدفع على هيئة حذاء بوجهها،

ووالدتها تهتف بعصبية:" بتستهبلي؟.. عيل يا بُشرى.. ابن مين ده يا بت؟.."

إلا أن شقيقها وصل على صوت والدته, يتقدم اتجاههما, يتطلع للموقف,

ثم انحنى ينظر بتدقيق للصغير، قبل أن يعتدل مُمسكًا وجه شقيقته بيده يقلبه بكلا الاتجاهين بفظاظة،

قائلاً بنفي وهو يغمز بعينه:" لا متقلقيش.. السحنة العكرة بتاعة بنتك دي, متجبش النضافة الأجنبي دي.."

أبعدت يد شقيقها عن وجهها بقوة,

ناظرة إليه بقرف, قائلة:" مش ناقصة ظرافة أهلك.. كله من مصايب صاحبك.."

ارتفع حاجبه باستهجان, مع قوله:" ابن خورشيد ده؟.. تصدقي كان قلبي حاسس إنه مقضيها, وبعدها جابلنا طفل الخطيئة.."

زفرت بنفاذ صبر, وهي تشعر بالصداع, لكنها ردت متهكمة:" يا ريتها كانت كده.. لكن ده منحوس.. ده ابن ابن عمه.."

لم تدعها السيدة هبة تُكمل حديثها مع شقيقها, بل تقدمت منها بعينين مشتعلتين, تجذب ذراعها, تهزها,

قائلة بغضب:" أنا عايزة أفهم الواد ده بيعمل إيه هنا؟.. جيباه ليه؟.."

وملامح وجه والدتها دفعتها للتوجس,

فقالت بهدوء:" اهدي يا ماما واقعدي, وأنا هفهمك.."

لم تنصاع إليها هبة, فزفرت بُشرى مُجددًا, تدعو على خورشيد سرًا,

مكملة لوالدتها بنبرة حزينة؛ لكسب عطفها:" ده ابن ابن عم خورشيد.. صلاح إنت عارفه يا بشير.."

وبشير يعلق بهمهمة باردة, وهو يتفحص الصغير بعد أن حمله كدمية صغيرة:" امممممم.. اسمع عنه.."

هزت رأسها مؤكدة, مع تكملتها لوالدتها:" اهو صلاح ده يا عيني مات من فترة هو ومراته في الخليج..

ويزّن ده بعتوه لخورشيد علشان يبقى وصي عليه..

بس إنتِ عارفة خورشيد يا ماما, مش هيعرف يهتم بيه, ويمكن يتسبب بموت الواد.."

ومع حديثها لانت ملامح هبة, حد دمع العينين, وهي تقول بتأثر:" يا ضنايا يابني.."

تاركة بُشرى, متجهة لبشير, تأخذ الصغير من بين يديه, تتفحصه بعينين مشفقتين, فيرق له قلبها, مقبلة وجنته, بل انشغلت معه,

وبشير يقترب من شقيقته, هامسًا:" مش عارف ليه مش مصدق القصة دي.."

انقلبت ملامح وجهها, ترد عليه بفتور:" والله روح اسأل صاحبك.. جاتك البلا إنت وهو.."

ضيق عينيه بغيظ منها, قبل أن تلتوي زاويتا شفتيه بابتسامة خبيثة,

قائلاً بصوتٍ عالٍ نسبيًا بمكر:"

يتربى بعزك يا بُشرى.. دلوقتي هنلاقي كل العُمارة بتخبط, تسأل عن مين العيل ده؟.."

جزت على أسنانها بغل منه, قائلة بغيظ:" مش أخويا بس مش برتحلك يلا.. طويل كده, وعايش مع كائنات تانية فوق, وأسود من جوا.."

لم يرد عليها سوى ببسمة ماكرة, مع تحريكه لحاجبيه بتلاعب,

ردتها إليه بمكر مُماثل, مع قولها البارد,

وقد مالت برأسها قليلاً:" متقلقش.. محدش هييجي.. طنط حنان قابلتني ع السلم وسألتني عنه, قولتلها ابن واحدة صاحبتي عندها كورونا هي وجوزها وبالعزل, فأخدت الواد يقعد عندنا.."

فلا تنال منه سوى ضحكة عالية,

مع قوله الساخر بخبث:" الله.. طلعتِ علينا سُمعة ياختي.. طيب ربنا يُستر ومنلاقيش الجيران....."

رفعت يدها تكمم فاهه سريعًا, تحذره من بين أسنانها بخفوت:" خف يا بشير.. أقسم بالله أقول لماما إنك كنت بتعاكس بنت الجيران اللي قُبالنا, وبتبص عـــ....."

فيُسرع ليُكمم فاها بدوره, يحدجها بعينين متوعدتين, قائلاً بعد أن نفض يدها بعيدًا عن فاهه بهمس:" اكتمي خلاص.."

فتبتسم أسفل كفه بانتصار لمحه بلمعة عينيها, فيدفعها بعيدًا عنه بنزق, وهي تقترب من والدتها والصغير,

وهبة تقول برقة:" عسل.."

هزت رأسها موافقة, وبشير يرد على والدته بتهكم بعد أن عقد ذراعيه أمام صدره:" أهو تلاقي حاجة تشغلك يا ماما؛ بدل قعدتك لوحدك.."

حركت بُشرى عنقها للجانبين بتعب, بعد أن فكت حجابها,

قائلة بإنهاك:" هدخل أنام شوية, وبعدها نتكلم يا ماما.."

هزت هبة رأسها موافقة, وبُشرى تتحرك, لكنها عادت تهتف بصرامة:" تستحمي الأول , وتحطي هدومك بالحمام.. وأنا هحمي الواد بالحمام الصغير.."

وهكذا هي والدتها منذ انتشار الفيروس, لا يدلف أحد منهم للمنزل, إلا بعد جلسة تعقيم, وبعدها على الحمام بملابسه,

تحركت بُشرى متململة بنزق, لكن ذلك الكف الخماسي, على عنقها من الخلف (قفاها) والذي يبدو كسلام ترحيبي مُعتاد بين الأخوة..

جعلها تصرخ بغضب:" يا متخلف.."

****

وبقاء الصغير تعدى الأسبوع, فقد تحدث خورشيد مع السيدة هبة وشرح لها ظروفه, والتي أشفقت عليه, تخبره أن يتركه عندهم أي مدة يريد, وانتهزتها فرصة أيضًا كي تبقى مع يزّن,

فقد تعلقت به, وأضفى على يومها الممل الرتيب بعض التجديد, تتركه بُشرى معها وتذهب للعمل, ولا تُنكر أن الصغير هادئ بشكل لطيف,

(ابن ناس) على حد قولها, فلا يبكي كثيرًا كغيره من الأطفال مسببًا الازعاج, وتهتم به والدتها كثيرًا,

صباح يوم اجازتها المعتادة، استيقظت بحالة مزاجية رائقة، تمسك بهاتفها تتابع حسابها،

تتحدث مع بعض صديقاتها، لتُرسل لها إحداهم فيديو بأغنية رائجة لزفاف عروس ترقص على أنغامها،

جعلت ابتسامتها تتسع، تُعيد المقطع أكثر من مرة حتى حفظته، تدندنه كثيرًا طوال اليوم،

حين خرجت من غرفتها بابتسامة واسعة، تُغني بابتهاج:" أنا نفسي أطيييييير.. فرحانة جدا وده احساس خطيييير.."

فتجد صوت بشير ينطلق من خلفها بسخريته المعهودة، يقول بضحكة:" نفسك تطيري ايه يا بِـُشرى؟.. ده إنتِ كنتِ بتطيري العرسان من قبل ما تشوفيهم.. عايزة تطيري دلوقتي!.."

نظرت إليه بطرف عينها بامتعاض، قائلة بضيق:" فصلتني يا أخي.. عيل غلس.."

تتحرك من جواره, وقد عادت ابتسامتها حين لمحت يزنّ الجالس على الأرض،

لكن بشير هتف بحماس فاركًا كفيه ببعضهما:" وماله نوصلك للكهربة تاني.."

مُصاحبًا كلماته بضربها بكفه على عنقها الخلفي (قفاها)

يسألها بتسلية:" هاااا الكهربة وصلت.."

فتصرخ ملتفتة إليه، تتمسك بقميصه القطني،

تضربه بعشوائية غاضبة،

وهو يبعدها ضاحكًا مع تعليقه المستفز:" أعملك ايه طيب؟.. قفاكِ بيستفزني كل ما أشوفه.."

فتصرخ بُشرى أكثر مستنجدة بنبرة باكية:" يا ماماااا.."

خرجت هبة من المطبخ حاملة طبق صغير به قطع فاكهة مقطعة، تعطي منه ليزّن قطعة تفاح مقشر، فيأخدها منه يضعها بفمه يقرضها بأسنانه الصغيرة،

وهبة تهتف ببؤس:" مش هتكبروا أبدًا.. "

موجهة حديثها لبشير بتوبيخ:" يا بني بطل

تضربها على قفاها, هتسببلها حول, وتقعد في قرابيزي أكتر ماهي قاعدة.."

تركت بُشرى ملابس شقيقها، تدفعه بعيدًا عنها، هاتفة بنزق ساخطة:" ده بس اللي هامك في الموضوع؟.."

تحرك بشير يجلس أرضا بجوار يزن، يلاطفه، ويشاكسه قليلاً، يلتقط من الطبق أمامه بعض قطع الفاكهة، يأكلها؛

وبين الحين والآخر يناول الصغير قطعة،

فيما جلست بُشرى بجوار هبة، تُمسك بهاتفها، تُريها مقطع الفيديو بالأغنية،

فتنظر هبة للعروس الراقصة بسعادة بزفافها، متنهدة بحسرة،

متمتمة:" عبالك ياختي.."

ونبرتها جعلت بُشرى تزفر بضجر،

نادمة على أنها أرتها ذلك المقطع, وقد علمت ما سيأتي بعد تلك الكلمة،

لكن فاجأتها هبة بقولها المقترح:" بت يا بُشرى.. ما تتجوزي خورشيد.."

وحديثها جعل زوج من الأعين تنظر إليها بصمت مستهجن،

جعلها تعبس بوجههما، مردفة: ماله يعني؟.. مش عاجبكم!.."

هز بشير رأسه يأسًا، يعود ليزّن، وهدى تُعدد في صفاته تحاول إقناعها؛

وكأنه تقدم لها:" يا بت ده خورشيد لُقطة.. يتيم الأم والأب.. لا أم تبقى حماه تقرفك.. ولا وجع دماغ، ومسكين.."

_مسكين؟..

والكلمة خرجت متهكمة بسخرية مستخفة؛

مع تكملة بشير الساخرة:" ومعاه عيل هدية كادوه.."

جعلتها تحدجهما بنظرة حارقة؛ مع قولها الساخط:" ما هو مش هتفضل لزقالي كده زي الاتب في القفا, أنا زهقت وعايزة افرح زي باقي الأمهات.."

فتهز بُشرى رأسها بلا مبالاة، مرددة باستخفاف:" ان شاء الله والف الف مبروك.."

وتعود هبة داعية بنفاذ صبر وهي تنهض

من مكانها عائدة للمطبخ:" عدلهالها يا رب أكتر من كده مش هتحمل.."

فتبتسم بلزوجة، موجهة حديثها لشقيقها:" أمك بتموت فيا.."

_اووووي..

ونبرته ممطوطة مع ملامحه الضاحكة،

فيصلهما صوت هبة من باب المطبخ بغيظ:" كل الناس بتتباهى بعيالها، إلا أنا عندي كل واحد أحمّر من التاني.."

فيرد عليها بشير بسماحة:" شاكرين أفضالك يا ماما والله.."

فلا ينال منها سوى زجرها له, مع قولها الذي

قصفت به جبهة بُشرى المسكينة:" بطل استفزاز وقوم استحمى, وغير هدومك علشان اغسلها.. إنت مالك بقيت كده ليه؟.. مبقتش تستحمى زي الأول.. ده إنت بقيت أعفن من أختك.."

فينظر لشقيقته التي انقلب وجهها،

منقلبًا هو على ظهره أرضًا من فرط ضحكه،

وبُشرى تهتف بتظلم:" أنا جبهتي اتفرتكت.. والله بستحمى كل يوم.."

****

لكن كل ذلك تغير حين أتى هبة ذلك الاتصال

من شقيقها يُخبرها بتعب والدتها, وأن عليها أن تأتي للبقاء معها قليلاً,

والكارثة الكُبرى أن جدة بُشرى ببلدة أخرى,

وما إن سمعت بالأمر, حتى هتفت بارتياع:" طب وأنا هعمل إيه مع يزّن؟.. خديه معاكِ يا ماما.."

فلا تنال من والدتها إلا نظرة حارقة, مع تعنيف حاد:" هاخد بالي منه ولا جدتك؟.. اتحملي مسئوليته.. اللي قدك فاتح بيت وعنده عيلين وتلاتة.."

عبست بحنق, متمتمة:" يا ماما.."

إلا أن صوت بشير قاطعها, وهو يحمل حقيبة ملابس والدته,

قائلاً بشماتة:" مش عايزة تتجوزي ياختي؟..

أهو جربي مع يزّن.."

همهمت بكلمات خافتة من بين أسنانها, قبل أن تلتقط يزّن من بين ذراعيَّ والدتها, والتي كانت تودعه مقبلة وجنته, بكلماتها الرقيقة:" هتوحشني يا صغنن.. بس نعمل إيه.."

ثم تودع بُشرى, توصيها على المنزل, والصغير, وشقيقها الذي سيوصل والدته لمحطة القطار ثم يعود ليبقى معها,

وتوصيهما سويًا كطفلين صغيرين بحسن التصرف..

بعد رحيل والدتها مع شقيقها, دلفت لغرفتها, مع يزّن, تتطلع حولها بحيرة, عليها أن تذهب للمكتب, وبشير لن يعود للمنزل الآن, بل سيذهب لعمله, ماذا ستفعل بالصغير؟..

بقلة حيلة تحركت اتجاهه, تخبره:" شكلنا كده هناخدها أجازة النهاردة يا يزّن.."

ملتقطة هاتفها, تتصل بخورشيد, تُكيل إليه الكلمات الساخطة, تُخبره بعدم قدرتها على القدوم بسبب رحيل والدتها,

وهو يتحملها مُكرهًا بسبب اعتنائها بالصغير..

باليوم التالي, كان عليها الذهاب, وحاولت ترك يزّن مع بشير؛ لكنه رفض رفضًا قاطعًا..

مما جعلها تأخذه معها للمكتب, بكل متعلقاته, وكأنها تحولت لأم, تحمل معها حقيبة ضخمة للغاية, لا يخصها فيها سوى هاتفها, ومحفظتها, والبقية للسيد يزّن..

والذي القته لخورشيد يعتني به بالإكراه,

فعليه أن يتحمل مسئوليته ولو قليلاً,

مع وجهها المقلوب, والذي جعل خورشيد يقول بحنق:" افردي بوزك بقى.. يخربيت نكدك ده اللي هيتجوزك مظلوم.."

فترميه بنظرة ساخطة, مع قولها الفظ:" وإنتَ مالك, هو إنتَ اللي هتتجوزني!.. متتحشرش.. وأهو.."

متعمدة رسم النكد الأصيل على وجهها, كلما رأته حتى نهاية اليوم, تأخذ الصغير معها مرة أخرى للمنزل..

****

يبدو أن اليوم لن يمر بسلام فعلى غير العادة، كان يزن يبكي بشدة في المكتب مع خورشيد،

بعد أن تركته بُشرى معه، وذهبت للمحكمة،

وحين عادت وجدت خورشيد يستنجد بها لا يعرف ماذا بالصغير، يسلمه لها بلهفة, فيتمسك بها الصغير, دافنًا وجهه بصدرها كعادته, فتتأفف, هامسة بنبرة شبه باكية:" يا بني.. يا بني كفاية بقى ده مال ناس لسه مدفعش تمنه.."

وما زاد الأمر سوءً تقيأ الصغير على ملابسها,

فانكمشت ملامحها بقرف, تُلقيه لخورشيد, دالفة إلى الحمام, تنظف قدر ما تستطيع, شاكرة قماش ملابسها الذي لا تلتصق به البُقع, ويجف سريعًا,

وحين عادت, كانت قد عدلت ملابسها, وحجابها, قائلة بنزق:" أنا عايزة بدل ملبس.."

ليرد عليها وهو يهدهد الصغير:" وأنا عايز بدل صحة.."

ليُخبرهما رضا بحضور عميل, فأسرع خورشيد يُعطيها يزّن, قبل أن تتحدث, لترمقه بغيظ,

فيقول سريعًا:" هشوف أنا العميل, وهزودلك عملولتك.."

فلا ترد عليه سوى بنظرة ممتعضة, قائلة بترفع وهي ترحل من مكتبه قاصدة مكتبها:" مش عايزاها.. خليهالك, هات بيها مربية وارحمني.."

لكنها بعد ربع ساعة, تفقدت الصغير, وجدت حرارته مرتفعة، وقد احمرت وجنتاه،

لتُسرع لمكتب خورشيد, والذي رحل منه العميل توًا,

هاتفة بقلق:" يزّن سُخن.. علشان كده بيعيط.."

تطلع إليه خورشيد، يسألها:" طب هنديله إيه؟.."

فترميه بنظرة ساخطة مع قولها المُعنف :

"نديله إيه في إيه؟.. بقولك سُخن.. عيان.. عايز دكتور.."

ارتبكت ملامحه أكثر، فتحركت بضجر، قائلة بسأم:" يلا بينا هنروح ع المستشفى.."

تحرك خلفها بعد أن التقط مفاتيح سيارته،

وهي تخبر رضا:" عم رضا مشوار ساعتين وراجعين.."

هز رضا رأسه بخفة غير مهتم، فما يحدث معهما هذه الفترة قلب حالهما..

وهناك بالمشفى وصلا يجلسان بقسم الأطفال, ينتظران دورهما، وقد هدأ يزّن قليلا وذهب بغفوة،

فيما بقيت بُشرى تتطلع حولها للأمهات الجالسات يحملن صغارهن، واللاتي يرمقونها وخورشيد بنظرات بعضها متعجب؛

فالغالبية حضرن دون أزواجهن كالعادة..

مر الوقت بطيئًا، وأكثر ما يزعج بُشرى الانتظار، لكن لفت انتباهها حوض الأسماك أمامها؛

فبقيت تتطلع إليه بحاجبين معقودين بتفكير عميق؛ وكأنها تحاول حل معضلة،

قبل أن تميل على خورشيد تسأله بهمس، ولا زال على وجهها علامات الجدية:" إيه الحلو في إني اشتري سمك وأربيه؟.. بجد إيه اللي هيعود عليا؟.. حاجة مملة جدًا.. أفضل اتفرج عليه وهو رايح جاي في المايه..

ع الأقل لو جبت قطة, ولا في أسوء الأحوال كلب, هلعب معاهم, هيعملوا حركة؛ لكن السمك إيه فايدته غير إنه يتاكل وبس؟.."

ارتد رأس خورشيد وهو ينظر إليها بدهشة من حديثها، يهز رأسه مُستفهمًا،

فتهز رأسها بدورها، تخبره بإصرار:" قولي إيه الحلو بكده؟.." _بتتكلمي جد!..

ونبرته متسائلة بحيرة من حالتها الغريبة،

فهزت رأسها مجددًا بتأكيد، جعله ينفجر ضحكًا جذب إليهما الأنظار،

فتنحنح يكتم ضحكاته، مع همسه:" دي الحالة عالية عندك أوي النهاردة.."

همت بالرد عليه، لكن فُتح باب الطبيب, ونادى أحدهم على اسم يزّن،

فنهضا يدلفان للغرفة، يعاينه الطبيب، يسألهما أسئلة روتينية، ترد عليها بُشرى بما تعرفه، وحين سألهما عن الرضاعة، أخبرته أنه يتناول اللبن المجفف فقط،

فيعبس الطبيب متنهدًا، بعد أن جلس خلف مكتبه، قائلاً:" أنا كنت أفضل الرضاعة الطبيعية.. الولد لسه عنده سنة, وحضرتك لازم تبقي عارفة....."

لكنها قاطعته بحدة، قائلة بوجه محتقن:" ما تحترم نفسك يا دكتور.. رضاعة طبيعية إيه؟.."

تعجب الطبيب من انفعالها، يقول بهدوء:" يا مدام ابنك....."

فتعود لتقاطعه، زافرة بنفاذ صبر:" لا إله إلا الله.. مش ابني.. بذمتك دي أشكال تجيب النوعية المستوردة دي!.."

تطلع إليهما سويًا من أسفل نظارته بنظرة

متفحصة، قبل أن يوافقها بقلة حيلة, هامسًا:" بصراحة

لا.."

فيخبرهما بطريقة عملية أن مرض الصغير مجرد

سخونة عادية تُصيب الأطفال,

لا ضرر منها مع الاعتناء به، يكتب له بعض الأدوية

الضرورية،

أخذ خورشيد ورقة الاستشارة المكتوب بها الأدوية،

وشكره، ليخرجوا من المكان، مع كلمات بُشرى

المهمهمة الغير مفهومة..

****

سافر خورشيد لمتابعة قضية ببلدة أخرى,

كعادتهما يقسمان القضايا, وينال هو تلك البعيدة,

التي لا تستطيع بُشرى السفر إليها,

خاصةً مع وجود يزّن, وكان عليها أن تهتم هذه الأيام بيزّن, المكتب, والمرافعات,

تذهب للمحكمة صباحًا, وعدم عودة والدتها من زيارة جدتها, أربك الوضع, فتوسلت لبشير, الذي رفض,

لكنها ترجته, أن يبقى معه لمدة ساعتين فقط, لن يشعر به فهو سينام معظمهما..

فقبل على مضض, مُنبهًا عليها أنه اليوم فقط سيبقى, وعليها أن تُرتب أمورها, فتبتسم بوجهه ابتسامة صفراء, مُكرهة, تلعنه, وتلعن خورشيد ومصائبه..

بعد يومين أيضًا كان عليها أن تذهب صباحًا للمحكمة, فهُناك قضية هامة,

سيتم الحُكم فيها اليوم, بهدوء شديد,

دلفت لغرفة شقيقها, تحمل يّزن النائم,

تضعه بجوار بشير على الفراش ببطء, كي لا يستيقظ,

ويطلق لسانه عليها, بقوله الساخط

(شيفاني دادة بالمحضّن, هتسبيه معايا كل شوية!..)

ثم عادت تخرج هاربة, تبتسم بجذل, حين يستيقظ

بشير ليرى من بجواره, داعية ألا يتحرك كثيرًا,

ويسحق الصغير أسفله..

بعد نصف ساعة من وصولها للمحكمة, وجدت هاتفها

يرن لتجده بشير,

لملمت ضحكة, متجاهلة اتصاله عمدًا, ترتدي رداء

المحكمة الأسود, واضعة هاتفها بوضع الصامت, حين

لم يكف بشير عن الاتصال, كي تركز بالقضية..

خرجت من القاعة مبتسمة بانتشاء سعيد,

فكالعادة فازت بالقضية بمهارة, يشكرها عميلها,

فتهز رأسها ترد عليه برزانة..

بعدها تحركت لتُنجز بعض أعمالها, منتهزة الفرصة,

في حين كان بشير يتطلع ليزّن الذي بدأ يبكي, وحين لم ترد بُشرى, شتمها بغيظ,

يتصل بوالدته, يسألها عما يفعله:" اعمل معاه إيه ده يا ماما؟.."

فترد عليه بسؤال متعجب:" بُشرى فين؟.. وإنت بتعمل إيه هناك, مش كنت هتسافر؟.."

اشتعلت عيناه غضبًا, يرد عليها بانفعال, وهو يتحرك بالمطبخ يفتح الخزانات,

ويغلقها بعنف بلا هدف:" المتخلفة بنتك مش بترد عليا, صحيت لقيتها سيباه جمبي.."

زفرت بضيق, وقد ملّت الوضع, تخبره باقتضاب:"

لما ارجع بعد يومين هشوف حل مش هينفع كده..

عندك إيه قدامك بالمطبخ؟.."

تلفت حوله مُجددًا, لتقع عيناه على عُلبة طعام أطفال,

فيرد على والدته:" فيه سيريلاك الزفتة سيباه.."

هزت رأسها موافقة, تخبره بإيجاز:" اعمله منه شوية,

وأكله, ولو فيه تفاح قشرله واديله ياكل فيه.."

هز ساقه بعصبية, متخصرًا, مع قوله الساخر:" مش

عايزة أغيرله بالمرة؟.."

فتأتيه اجابة هبة المستحسنة:" يا ريت.. شوفه لو

محتاج.."

عض شفته السفلى, يحاول عدم الصراخ, قائلاً

بغضب

مكتوم:" اقفلي يا ماما الله يرضى عليكِ.."

فتُغلق بكلمات نزقة, وهو يتوعد شقيقته بغل:

" بس تيجي.. هعلقك بالمقلوب زي الدبيحة.."

تنهد بقلة حيلة بعد الطعام للصغير, يتذوقه, فيهمهم باستحسان, يُطعم يزّن ملعقة, ويتناول هو أضعافها؛ بل عاد يقوم بإعداد طبق كبير منه,

يأكله باستمتاع, مُحدثًا يزّن بتعجب:" تصدق كنت نسيت إن طعمه حلو أوي السيريلاك ده.. أنا فاكر كنت باكل منه لما الواد معتز ينزل عندنا.."

مُجهزًا على العبوة كلها, يحمل الصغير عائدًا به للصالة, يضعه أرضًا, يشغله ببعض الألعاب,

وهو يتصفح بعض الأخبار على موقع التواصل الاجتماعي, ويتلقى بعض المُكالمات الهامة..

حين وجد يزّن بدأ يململ باكيًا, فاقترب منه, لتلفحه رائحة غير مُحببة, فيتجهم وجهه, قائلاً بسخط:" كملت.."

حمله معه إلى الحمام, ينزع حفاضته, ينظفه كيفما اتفق, مُهمًا بإلباسه غيرها, حين وجد الصغير يحرك قدميه بحرية مستمتعًا,

فنظر إليه للحظات, قبل أن يبتسم, قائلاً:" الجو حر.. خليك كده.."

خرج معه من الحمام بعد أن جففه, يتركه يتجول بحرية, وهو يتابع ما كان يفعله سابقًا..

حين سمع الباب يُفتح, وتدلف بُشرى, فقفز من مكانه حتى وقف أمامها,

يهدر بوجهها:" يومك ملهوش ملامح.. أنا تعملي فيا كده تدبسيني فيه؟.."

لم تبالي بهذره, تتحرك اتجاه المطبخ, تضع ما أحضرته على الطاولة الرخامية,

فتتجهم ملامحها بحنق, وهي ترى الفوضى التي أحدثها شقيقها, وبقايا طعام يزّن المتساقطة, قبل تقع نظراتها على عبوة الطعام الفارغة, فتُمسكها, ترجها,

ترفع نظراتها لشقيقها تسأله بذهول:" إنت أكلت يزّن علبة السيريلاك كلها؟.."

فيرد عليها بامتعاض:" لا كلت معاه.."

نظرت إليه لوهلة, قبل أن تصحح بنزق:" قصدك كلتها كلها منه.. كويس إني جبتله واحدة معايا.."

محولة أنظارها للمشتريات, تفرغها بضيق,

وبشير يقول من خلفها:" ابقي اعملي حسابي معاكِ في السيريلاك المرة الجاية.."

نظرت إليه من فوق كتفها, تتهكم ساخرة:" أصلك اتسخطت.."

فتنال منه لكزة, مع إكماله:" أنا مسافر بُكرة علشان طلبوني بالمنتجع الصحي.."

زفرت باقتضاب مُجددًا, ترد عليه بإيجاز:" عارفة.."

متنهدة بغم, فهي لا تعرف كيف ستتصرف حتى عودة والدتها, لاعنة تلك المسئولية, وقد كرهت الزواج وسيرته من الأصل,

تركت ما بيدها, وخرجت من المطبخ, قاصدة غرفتها, تود تبديل ملابسها,

حين لمحت يزّن يمشي بتعثر, لكن ما جعل حاجباها ينعقدان بتدقيق مصعوق, هيئته, فهو يرتدي فقط الجزء العلوي من ملابسه,

التفتت لشقيقها, الذي يحمل ثمرة من الخوخ, يأكلها,

تسأله بعدم تصديق:" إنت مقعد الواد من غير بامبرز وبنطلون يا بشير!.."

فيرد عليها بهزة كتف لا مبالية:" عادي يعني.. وأهو مبسوط ومنشكح.."

جزت على أسنانها بقوة, تزجره بنظراتها، مع قولها الحاد:" إنت بتستهبل والله.."

متجهة ليزّن تحمله, مكملة طريقها لغرفتها, كي تُلبسه حفاضة،

وبشير يقول من خلفها بأسى:" الواد كان مبسوط والله.. مانتِ مش هتنفعيه لما تجيله تسلخات من البامبرز, والكتمة تأثر على مستقبله.."

أغمضت عينيها تخبره بتشنج:" روح يا بشير من هنا مش ناقصة استظرافك.. روح حضر شنطك وسافر من دلوقتي.."

****

اندهش بشير من رؤية خورشيد بالمنتجع السياحي,

وزادت دهشته حين وجده يتجه لغرفة المساج,

فتحرك خلفه بحذر يراقبه, ليجده قد نزع ملابسه, وقد استرخى مستلقيًا على بطنه, ينتظر جلسة تدليك خاصة,

جز على أسنانه بغيظ, فذلك البغيض يستمتع بوقته, وهو وعائلته يهتمون بالصغير,

مهمهمًا بغل:" بقى إنت بتتدلع هنا, وإحنا شايلين الليلة هناك.. ليلتك طين يا خورشيد.."

بإشارة من يده صرف الفتاة المسئولة عن الجلسة, متعجبة؛ لكنها تعرف بشير, وصفته الجديدة بالمنتجع, كمعالج فيزيائي,

فهزت كتفها بعدم اهتمام, وخرجت من المكان

تتركه ليفعل ما يريد,

وهو دلف مُغلقًا الباب بهدوء, يراقب ذلك المستلقي,

هامسًا بوعيد:" وكمان طالب واحدة للمساج.. ده أنا

هروقك.."

تنحنح بصوت خفيض رقيق,

فقال خورشيد دون أن يرفع وجهه:" أخيرًا.."

لمعت عينا بشير بخبث, يقترب منه بتلكؤ,

مع تساؤله الناعم:" عايز المساج سوفت, ولا هارد يا

فندم؟.."

والنبرة جعلت ابتسامة بلهاء ترتسم على ثغره، وإن

كانت رقيقة كصوتها؛ فالسوفت معها دغدغة،

فقال بانتشاء:" لا هارد.. عايزه هارد.."

التمعت عيناه بشرٍ، مع ابتسامة جانبية، يرد عليه هامسًا:" عينيا.."

مد ذراعه الأيسر اتجاه جانبه الأيمن, يمسك بكوعه بيده، وبكل قوته الجسدية,

اندفع قافزًا على ظهره كحركة مصارعين أوزان ثقيلة،

لتنطلق سيمفونية صارخة بصوت متألم هزت الأرجاء:" اااااه.."

اتساع العينين مع ألم شديد.. شديد؛ جعله يتوقف عن التنفس صارخًا بحنجرة تنافس مكبرات صوت مجسمة..

غير قادرًا على الحركة؛ وكأن عموده الفقري قد تحطم,

فيما يصله صوت بشير الساخر بسؤاله:" عجبك الهارد يا بيبي؟.."

التفت بوجه أحمر محتقن بعروقه النافرة يلهث بصعوبة, والألم يضربه بقوة,

هامسًا بتقطع:" بـ.. بشير.."

هز رأسه بحركة مستهزئة, يرد عليه بتهكم:" هو بعينه يا حبيبي.. وناوي أعملك مساج خصوصي مش بعمله إلا للحبايب.."

عاد يقترب منه, فتحامل خورشيد على نفسه, يجلس بمعاناة, ولا زال يلهث بألمه,

يرميه بنظرة ساخطة مع قوله:" منك لله.. بتهبب إيه هنا؟.. وعملت كده ليه؟."

بعينين مشتعلتين رد إليه بشير نظراته,

قائلاً بغضب:" الباشا بيتدلع هنا, وإحنا رامي لينا الواد.."

حاول فرد ظهره لكنه لم يستطع مما يشعر به, فتأوه بقوة, مع قوله وهو يعض على شفته السفلى:" أنا كنت هنا في شغل, وأختك عارفة.."

ضحك بسخرية, مع نظرة ذات مغزى لوضعه,

فعبس بوجهه, مكملاً بنزق:" عادي يعني, قولت أفك عن نفسي شوية, مفيهاش حاجة.."

عاد بشير يقترب منه, جالسًا بجواره, مضيقًا عينيه, وهو يقول بشك:" والله أنا حاسس إنك بتشتغلنا, والواد ده طفل الخطيئة من سفالتك.."

أصدر صوتًا ساخرًا, ناظرًا إليه بعينين مقلوبتين,

مرددًا:" سفالتي!.. ياخي اتنيل.. ده حتى يوم ما جيت أعمل مساج, وأدلع نفسي بصوابع حريمي, طلعتلي زي العمل الردي.."

زفر بيأس, مع قوله لإفيه شهير:" منحوس من يومي.. يوم ما أفكر تدلعني مزة, تطلعلي جِتة.."

راميًا إياه بنظرة ممتعضة,

جعلت بشير يقول باستنكار, وكأنه ضبطه بالجُرم المشهود:" عايز تجبلنا العار يا سافل.."

فيدافع عن نفسه بقوة:" أنا هنا برفع, وألمع اسم المكتب.."

لم يصدقه, مقتربًا منه بشدة, يميل عليه, يسأله:" تلمعه ولا تدمره!.. بتعمل إيه يا خورشيد انطق.."

تراجع برأسه للخلف, ضاحكًا بارتياع, مع قوله الساخر:" لأاااااا.. ابعد يا حبيبي الوضع اليومين دول مش تمام.. أي حد يدخل علينا هيفهمنا غلط.. ونروح في داهية.."

عبس بعدم فهم, قبل أن يضربه الإدراك لما يقوله, فتراجع باشمئزاز, يضربه بطرف المنشفة على صدره العاري,

قائلاً بقرف:" استر نفسك يلا.."

بيأس كاد يبكي, وقد أفسد يومه الذي ظن أنه سيكون جيدًا؛ عله يفرغ عنه بعض مما يعانيه؛ لكن نحسه لم يتركه؛ حتى ببلدة أخرى..

نهض بتثاقل, نازعًا المنشفة التي كان تلتف حول خصره, ليظهر تحتها سروال قصير,

مشرعًا في تناول ملابسه الرياضية الموضوعة بترتيب على إحدى الطاولات, وبشير يعدل بعض الأشياء بالمكان,

وبعد أن انتهى خورشيد من ارتداء ملابسه, تحرك خلفه, يخرجان سويًا من المكان, يتمشيان على شاطئ البحر بصمت يلفهما,

قبل أن يوقفه خورشيد, قائلاً:" بشير.. أنا عايز أتجوز أختك.."

أجفل ناظرًا إليه بدهشة, وخورشيد يُكمل:" بصراحة الموضوع في دماغي من مدة, بس مع كل اللي حصل الفترة اللي فاتت مكنش فيه فرصة أكلمك.."

لكن ما لم يحسب حسابه, انفجار بشير في الضحك بقوة, فنظر إليه بتعجب, يرى جسده الضخم يهتز من قوة ضحكاته,

فيسأله بنزق:" إيه؟.. قولتلك نكتة!.."

لا يستطيع التوقف عن الضحك رُغم محاولاته, فلو يعرف خورشيد أن والدته, كانت تُحاول إقناع شقيقته أن تتزوجه, قبل أن يقول, وكأنها تشعر به,

بعد محاولات, توقف عن الضحك لاهثًا, يضع يده على صدره, يزم شفتيه بابتسامته, وهو يرى وجه خورشيد الساخط,

مع نبرته الحانقة:" مكنتش أعرف إن طلب الجواز بيقلب بضحك كده؟.."

عض شفته السفلى بقوة يكبت ضحكاته, ثم قال ببساطة:" وماله.. أرجع بس اجازة, وتعالى أطلبها.."

ارتفع حاجبا خورشيد بدهشة, مرددًا:" كده على طول!.. موافق؟.."

ليرتفع حاجب بشير بنظرة مخيفة,

مع قوله القاتم:" ليه هو إنت كنت بتطلبها طلب مراكبية؟.. إنت طلبت وأنا وافقت.."

لكن بلحظات ابتسم, مربتًا على كتفه, مكملاً بصدق فظ:" بعيدًا عن نحسك يا خورشيد.. بس مش هلاقي راجل أحسن منك لأختي.."

ابتسم بوجهه, يرد عليه بفظاظة مُماثلة:" والله ولا أنا هلاقي عديل طور زيك.."

فينال تربيت خشن فوق كتفه, وبشير يؤكد:" ربنا يبارك.. جوازة فل.."

ثم يدفعه من أمامه وقد عاد لطبعه النزق,

مكملاً:" ويلا ياخويا زق عجلك من هنا,

مش خلصت شغلك,

خد الواد مش عايز أرجع وأشوفه عندنا,

ده لو ابني ما هتمرمط معاه كده.."

تاركًا إياه يتطلع للبحر أمامه, وعاد ليُكمل عمله, ضاحكًا بخفوت, مع همسه المستمتع:" يا بركة دعاكِ ياما.. دعتيها ونولتيها.. خورشيد وبِشري.. جوازة لوز.."

مُمسكًا بهاتفه, يتصل بوالدته سريعًا يخبرها بطلب خورشيد, الذي كادت أن تُطلق له زغرودة عالية فرحًا..

****

بعد عودة خورشيد من السفر, وبعدها بأسبوع

عاد بشير, ذهب الأول كي يتقدم لبُشرى كما قال,

والتي لم تكن مقتنعة بالأمر, هي لم تُفكر به من الأساس كعريس مُحتمل,

فبالنسبة لها خورشيد, شريكها بالعمل, وصديق شقيقها, موشكة على الرفض؛

لكن إصرار والدتها عليها أن تتريث, تُفكر بالأمر, وتحالف بشير أيضًا, فهو يراه جيدًا بالنسبة إليها,

مع تنبيهه لها بكلماته:" فكري كويس.. وخلي ببالك إنك لو رفضتيه, ممكن تتغير علاقتكم في الشغل وتبقى حساسة.."

فتنظر إليه باستنكار, مُدافعة:" خورشيد مش بيفكر بالسطحية, والطفولية دي.."

ارتفع حاجب بشير, ناظرًا إليها نظرة ذات مُغزى,

مرددًا بتهكم:" والله!.. طب مانتِ حلوة وعارفاه كويس.. ما توافقي.."

مطت شفتيها للجانب بحنق, وتعود والدتها لتؤنبها بدموعها,

مع قولها:" فرحي قلبي بقى.. شاب كويس, في سن أخوكِ, أكبر منك بسنتين بس, وبعدين ما احنا مدبسين بيزّن.."

فتهتف بغيظ:" مدبسين بيزّن, ناخد خورشيد فوق البيعة.."

فيصحح بشير ساخرًا:" اعكسيها.."

ومع الحاحهما, وافقت على مضض, رُغم شعورها ببعض القبول,

وما زاد من نظرة احترامها له, موقفه مع سكان البناية التي بها مكتب المُحاماة, فهي ملك لأبيه وعمه, ومن بعدهما هو ويزّن الصغير,

لكن أغلب شققها مأهولة بسكان لا يريدون الخروج منها

فهي (إيجار قديم) يدفعون فقط خمسين جنيهًا شهريًا,

تغاضى خورشيد عن الأمر سابقًا, لكن مع وجود يزّن, بدأ بأخذ اجراءات قانونية, لاسترداد بعض الشقق الفارغة, فقط يغلقها سكانها بغير حق, فلا ينتفع هو بها..

معللاً بصدق:" مكنتش واحد ببالي لإن كتير منهم أعرفهم, وكمان مش محتاج, لكن دلوقتي فيه حق ليزّن.. حق يتيم هتحاسب عليه, لازم أسعى ليه.."

ابتسمت برضا لموقفه, وخوفه على حق الصغير, فتمت الخطبة صغيرة, تضم أسرتها, والقليل جدًا من المعارف,

وهبة تنتهز الفرصة, تُحدد موعد الزفاف بعد شهر من الآن, ومع اعتراض بُشرى,

هتفت والدتها بنزق:" أديلك معاه سنين بالمكتب, عارفاه وعارفة صفاته, معندناش بنات تطول خطوبتها.."

هي تريد زواجها بأسرع وقت, كي تفرح كما تقول, وبُشرى تصمت بيأس من والدتها,

التي هرولت تُخبر الجميع بخطبتها سعيدة بشدة, وقد تم أخيرًا ما كانت تتمناه..

فتمر الأيام سريعًا, ليوم الزفاف المرتقب, ومع ظروف البلاد, وإلغاء قاعات الزفاف, تم الزواج نهارًا, مع احتفال بسيط بالمنزل,

وبعدها صحبها خورشيد لشقته, وقد تعهدت هدى بتولي العناية بيزّن, طوال فترة شهر العسل, أو الأسبوع..

دلفت بفستان زفافها الشقة بارتباك, تزفر بروية مهدئة أعصابها, فهي كغيرها من الفتيات تشعر بالتوتر بهذه الليلة, لكنها تهدأ نفسها بأنها تعرف خورشيد, ماذا سيحدث!..

تطلعت بأرجاء المكان, قبل أن تجفل حين اقترب منها خورشيد, يلمس ذراعها بأصابعه بخفة,

قائلاً بخفوت:" مبروك يا بُشرى.."

رمشت بعينيها, ترد عليه بهمس:" الله يبارك فيك يا خورشيد.."

متوترة بشدة, ابتعدت عنه, بصدر مضطرب, فيبتسم بتفهم, يشير إليها بيده:" مش جعانة؟.. تعالي ناكل.. مامتك محضرة السفرة هناك.."

أسرعت دون حديث, للطاولة, وهو خلفها يزيح الغطاء عن الطعام, فتجلس على الكرسي, وهو يجلس بدوره, تتشاغل بتناول الطعام دون شهية من القلق,

ابتسم بمرح, وهو يرى ارتباكها اللذيذ, متعجبًا من حالتها البعيدة عن ثقتها, وسرعة ردها, مُرجعًا الأمر لخجلها,

لكنه أسرع ينهض خلفها, حين وقفت, قائلة:" أنا هغير الفُستان.."

اتسعت ابتسامته أكثر, يهز رأسه موافقًا,

يسألها ببراءة خادعة:" تحبي أساعدك!..

فك الطرحة مثلاً.."

التفتت إليه سريعًا, مرتدة للخلف خطوة بعينين متسعتين,

هاتفة بارتياع حاد:" لأ.."

كتم ضحكته وهو يرى عبوسها, فيقترب أكثر, غامزًا بعينه بوقاحة،

يخبرها بعبث:" الناس لبعضيها في المواقف دي برضو يا بُشرى.. بقولك ايه ما تيجي بقى أحلل الفلوس اللي دفعتها في البضاعة الحلوة دي.."

اتسعت عيناها شاهقة بصدمة وقد احمر وجهها،

فيضيف بتسلية::" مش كنتِ عمالة تقولي مال ناس مال ناس.. أهو جه صاحبه, وعايز يحلله.."

تلفتت حولها بغير هدى, قبل أن تعود إليه بنظراتها, هاتفة باستهجان:" اه يا سافل.. يا وقح كنت بتتصنت عليا.."

علت ضحكاته مع اقترابه أكثر, يتلاعب بحاجبيه, مرددًا:" أنا غرضي شريف.. وبعدين دي هتبقى وقاحة شرعي.."

اشتعل وجهها أكثر, تتراجع, مع قولها المُهدد بنبرة مهزوزة:" شكلي هلبسك قضية تحرش.."

التوت زاويتا شفتيه بابتسامة لعوب, يرد عليها بتسلية, يلف ذراعه حول خصرها, يقربها إليه:" معاكِ خورشيد كمال المُحامي.. القانون لعبتي.. غاويه.."

شهقت ترمش بعينيها مُجددًا, تبتسم بخفر, مع قولها المرح:" إنت غاوي مشاكل يا خورشيد.."

****

تمت بحمد الله

24/7/2020

إبداع